



جغرافيا الخلاص في المسيحية الإفريقية: تشكُّل المكان المقدس ووظائفه وتحولاته

أ. أحمد محمد أحمد إسماعيل

باحث سوداني متخصص في الشؤون الإفريقية

من الظواهر اللافتة في المشهد المسيحي الإفريقي، هي ظاهرة تشييد المدن والقرى المقدسة لدى الحركات النبوية الخلاصية على وجه الخصوص. وهي ظاهرة لاهوتية وفلسفية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم إفريقية مثل (لاهوت التحرر الإفريقي) الذي رسخته التيارات التي قادت اتجاه (أفرقة المسيحية) مثل تيار الكنائس الإفريقية المستقلة وما تفرَّع عنه من كنائس وحركات وطوائف مسيحية، وعلى وجه الخصوص الطوائف التي عُرِفَتْ بمسمى ((الحركات الخلاصية المسيحية)).

وفي ظل لاهوت التحرر، لا يكتفي المسيحي الإفريقي المستقل ببناء كنيسه الخاصة، بل يبني مدينة كاملة، متجاوزاً بها الوظيفة الدينية المحضة، ليُنتج من خلالها «فضاء المضاد» Counter-space كوسيلة للخلّص الشامل، الذي يعيد من خلاله تعريف العلاقة بين المقدس والأرض والسلطة في مواجهة إرث الدولة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال: كيف تتحول الأماكن الدينية التي تنشئها الحركات المسيحية الإفريقية المستقلة إلى فضاءات مقدسة تؤدي وظائف دينية واجتماعية وسياسية، وكيف تتفاوض هذه الفضاءات مع الدولة الحديثة والتحوّلات المعاصرة؟ كما تسعى، من خلال دراسة هذه الظاهرة، إلى الكشف عن البُعد (المادي - الجغرافي) في اللاهوت الإفريقي، فني بذلك تحويل (الخلّص) من كونه فكرة مجردة، إلى مكان مادي يمكن السكن والعيش فيه، وإنتاج مجتمع تطهري بديل للمجتمعات الحديثة التي أوجدتها (المدينة العلمانية).

وتعتمد على تحليل الخطاب اللاهوتي، والخصائص والوظائف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الرمزية للقرى المختارة، من خلال منهج سوسيو - أنثروبولوجي وتاريخي مقارنة.

وذلك من خلال عدة محاور، هي:

المحور الأول: الإطار النظري.

المحور الثاني: دوافع التأسيس والوظائف.

المحور الثالث: نماذج تطبيقية (دراسة حالات نموذجية).

المحور الرابع: مقارنة تحليلية: الخطاب اللاهوتي، الوظائف، الخصائص والفعاليات.

المحور الخامس: القرية المقدسة وتحديات الأصالة والمعاصرة.

هذه «الحركات الخلاصية المسيحية» هي حركات دينية نشأت غالباً في سياق المواجهة مع الاستعمار والتهميش، وتمزج بين الإيمان المسيحي و(الوحي النبوي) المباشر والشفاء والطقوس الجسدية، سعياً إلى «خلّاص شامل» يشمل الروح والجسد والمجتمع. وتتميز بتأسيسها لفضاءات مقدسة مستقلة (قرى/ مدن) تُدار بشرائع داخلية، وتعدّ من أكثر الظواهر الدينية تأثيراً في إفريقيا المعاصرة^(١).

ومن رحم هذا التيار وُلدت ظاهرة «المدن المقدسة»، كأسلوب للمزج المفاهيمي بين مكانة (الأرض) لدى الأديان التقليدية الإفريقية، وبين دلالات الأماكن المقدسة في الإنجيل وأسفار العهد القديم (كأورشليم، وسيناء، وجبل صهيون، والناصرية)، نتج عن هذا المزج ظهور مدن مقدسة منافسة للمدن الكتابية^(٢) في الفضاء الإفريقي، مثل (نكامبا، موريا، إيكوباكاميني، أتومي، مدينة الخلّاص في نيجيريا، ومدينة الإيمان في كوت ديفوار).

والآن أصبحت القرى المقدسة ظاهرة واسعة الانتشار في إفريقيا جنوب الصحراء ومتعددة الأنماط، تذهب بعض التقديرات إلى أن عدد القرى الكبرى في إفريقيا جنوب الصحراء يتراوح بين (١٥-٣٠) قرية، في حين إذا وسّعنا المعيار ليشمل مراكز الحج الإقليمي والمستوطنات الصغيرة، قد يصل عددها إلى ما بين (٤٠٠-٦٠٠) موقع^(٣).

(١) Sundkler, B. G. M. (1961). Bantu prophets in South Africa (2nd ed.). Oxford University Press
(٢) Comaroff, J. (1985). Body of power, spirit of resistance: The culture and history of a South African people. University of Chicago Press

(٣) المقصود: المدن المقدسة التي وردت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

(٢) Barrett, D. B., Kurian, G. T., & Johnson, T. M. (2001). World Christian Encyclopedia (2nd ed.). Oxford University Press

Ukah, A. (2018). Emplacing God: The social worlds of miracle cities – perspectives from Nigeria and

الخاتمة.

المحور الأول: الإطار النظري:

أولاً: مفهوم القرية المقدسة:

Turner إلى ما تحاول تلك القرى تقديمه من حلول لمشكلة الاغتراب الحضري وتفكك القبيلة، فيقول: «خلقت كنائس الأنبياء جغرافياً مقدسة جديدة، مستوطنات معزولة وفرت ملاذاً من قوى الشر في المدن الصناعية»، ويضيف: «لقد كانت هذه المجتمعات عبارة عن (عشائر مقدسة) جديدة أعادت خلق الشعور بالانتماء الذي دمره التحديث»^(٤).

من خلال هذه الاقتباسات نخلص إلى تعريف إجرائي للمدن أو القرى المقدسة / Sacred Village / Holy City، حيث يمكننا القول إن «القرية المقدسة، في سياق المسيحية الإفريقية، هي مستوطنة مادية معزولة، تدار بسلطة (متنبئ/ زعيم مؤسس) وفق شرائع دينية بديلة، وتُشكّل (عشيرة مقدسة)، تمنح المنتمين إليها هوية جديدة وانتماءً بديلاً، وتعتبر لدى أتباع تلك الكنائس نقطة اتصال إلهية مفضلة، مجسّدةً بذلك فردوساً أرضياً مستعاداً».

ثانياً: الخصائص الأساسية للقرى المقدسة:

(١) التأسيس على يد (متنبئ/ قائد ديني مؤسس):

ارتبطت القرى والمدن الإفريقية المقدسة بـ«المتنبئين» الذين يزعمون أنهم رسل المسيح، أو القادة الدينيين المؤسسين للطوائف^(٥)، الذين لا يقتصر دورهم على الوعظ أو الشفاء، بل يتجاوز ذلك إلى بناء فضاء مادي مقدس، يجسّد سلطنتهم الدينية البديلة، ويوطن للخلاص الأرضي في الجغرافيا الإفريقية، وذلك من خلال إنشاء مدينة مقدسة، ليست مكاناً للعبادة فحسب، بل مكاناً يجسدون من خلاله حلول سلطنتهم محل السلطتين الاستعمارية والكنسية التقليدية معاً.

مفهوم (القرية المقدسة) لدى الجماعات الخلاصية المسيحية الإفريقية هو مفهوم ذو أبعاد مركبة؛ روحية واجتماعية وسياسية، فهو يعبر عن مكان وُجد ليمثل مركزاً للخلاص الشامل.. ليس الروحي فحسب، بل الخلاص الديني الذي يتم تجسيده في مكان مادي معزول يُحاول أصحابه محاكاة الفردوس.

ويرى ويلسون Wilson أن (المدينة المقدسة) هي التي تتجلى فيها ذروة الخلاص الأرضي، فهي «أورشليم جديدة متجسدة في مستوطنة طوباوية منفصلة عن العالم الفاسد، تُهيأ لاستقبال المؤمنين أو عودة المسيح»^(١).

واستخدم سوندكلر Sundkler مصطلح (القرية المقدسة) فعلياً لوصف مستوطنات الكنائس الصهيونية في جنوب إفريقيا، معتبراً تلك القرى (عشائر بديلة) ونموذجاً مصغراً لملكوت الله، حيث وصف القرية الصهيونية المقدسة بأنها «محاولة لاستعادة فردوس إفريقي، حيث تستبدل سلطة الزعيم الأبيض ورجل الدين التبشيري بسلطة (النبي - الزعيم) الذي يحكم وفقاً للشريعة الموسوية»^(٢).

بينما يركز رانجر على الظاهرة من خلال مفهومي (السيادة المكانية، وتوطين المقدس)، ويرى أن الكنائس الإفريقية المستقلة «أعادت بناء دولة مسيحية مصغرة حول (مدينة مقدسة)»، ويؤكد أن «تلك المستوطنات لم تكن مجرد ملاجئ روحية، بل كانت دولة بديلة كاملة، لها قوانينها وأسواقها، وشكلها الخاص من الشيوكراتية»^(٣). أما فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي، فيشير تيرنر

(٤) Turner, H. W. (1979). Religious Innovation in Africa. G. K. Hall, p.146

(٥) تؤمن الحركات الخلاصية والكاريزمية الإفريقية بأن الوحي المعيارى للكتاب المقدس قد اكتمل، لكنها تتبنى عقيدة «الوحي الإرشادي المستمر» الذي يتلقاه (النبي) من الروح القدس للتبشير والشفاء وتأسيس الجماعة، دون أن يُضاف إلى القانون الكتابي.

(١) Wilson, B. R. (1973). Magic and the Millenium. Heinemann, p.129

(٢) See again: Sundkler, 1961, p.213

(٣) Ranger, T. O. (1986). Religious Movements and Politics in Sub-Saharan Africa. African Studies Review, 29(2), p.44

وفي هذا السياق، يصف سوندكلر Sundkler «القرية الصهيونية المقدسة» بأنها «محاولة لاستعادة فردوس إفريقي، حيث تحل سلطة النبي (الزعيم) محل السلطة الاستعمارية والتبشيرية»^(١).

وغالباً ما تُبنى هذه المستوطنات في مسقط رأس المتبني أو في موقع دفنه، الذي يُعتبر «نقطة اتصال مفضلة بين الله والبشر». ويلفت غامبيو Gampiot النظر إلى أن قرية «نكونغو»، مسقط رأس سيمون كيمبانغو وموقع دفنه، تحولت إلى «أورشليم الجديدة لدى الكيمبانغويين، وتُعد نقطة الاتصال المقدسة بين الله والبشر»^(٢).

هذه الجغرافيا المقدسة الجديدة التي يُنتجها (المتبني/القائد) تعيد تعريف المكان الإفريقي الذي جرّده الاستعمار من قيمته الروحية، وتمنحه مركزية كونية مرتبطة بالخلاص، وفقاً لتيرنر Turner الذي استخدم مصطلح «جغرافيا مقدسة جديدة» عند حديثه عن المستوطنات المعزولة التي أنشأتها كنائس الأنبياء الأفارقة لتوفر من خلالها ملاذاً روحياً واجتماعياً^(٣).

ولذلك فإن تأسيس القرى المقدسة على يد من يزعمون أنهم رسل المسيح، لا يمثل مشروع عمران ديني، بل هو تتويج لدورهم القيادي الشامل الذي يجمع بين الوظائف النبوية والكهنوتية والقيادية في آن واحد.

(٢) الارتباط بوحى يؤسس لـ «عهد جديد»:

على عكس الزمن الأسطوري البدائي غير المحدد، في الأرواحية الإفريقية التقليدية، غالباً ما تثبّق قداسة هذه القرى نتيجة لـ «رؤيا» أو «حلم» يأمر متبناً بتأسيس مستوطنة جديدة لتكون «أرض ميعاد». ويُشير مبيتى Mbiti إلى أن الدين في إفريقيا «ظاهرة وجودية

شاملة تدمج الروحي بالمكاني»^(٤)، مما يفسّر: لماذا يتطلب العهد الجديد تجسيداً جغرافياً ملموساً. ويمنح هذا الطابع الإعلانى تلك القرى ديناميكية فريدة، لكنه في الوقت ذاته يجعل شرعيتها اللاهوتية عرضة للجدل المستمر حول صحة النبوة المؤسسة.

(٣) اعتبارها مركزاً للعالم Axis Mundi، ومكاناً للحج: من أبرز السمات اللاهوتية والجغرافية للقرى المقدسة في المسيحية الإفريقية تحولها إلى «مركز للعالم» ومحج يؤمّه المؤمنون طلباً للشفاء والتجديد الروحي. فهي ليست مجرد مواقع هامشية، بل النقطة التي انفتحت فيها الاتصال الأول بين السماء والأرض، والتي يدور في فلكها النظام الكوني للجماعة.

يصوغ إلياده Eliade هذا المفهوم بقوله: إن الفضاء المقدس «ليس متجانساً؛ ففيه انقطاعات وانكسارات تتمثل في نقطة مركزية تؤسس للعالم»^(٥). ويبنى عليه أن الحج إلى قرى مثل «موريا» في جنوب إفريقيا ليس ترحالاً جغرافياً فحسب، بل هو فعل لاهوتي يعيد تمثيل حدث الخلق والتأسيس، ويُجدد للأتباع- المؤمنين بالنبي- صلتهم بمصدر القوة والشفاء الأصيل. هذا المبدأ اللاهوتي العملي هو ما ينظم التقويم الطقسي للجماعة وهويتها، محولاً القرية من مستوطنة بشرية إلى قطب كوني تدور في فلكه حياة ملايين المؤمنين.

(٤) إدارتها بموجب «شريعة» داخلية خاصة تفصلها عن

قوانين الدولة:

حيث تتميز القرى المقدسة في المسيحية الإفريقية بامتلاكها شريعة داخلية مستقلة عن قوانين الدولة، تنظم حياة الجماعة وفق أحكام مستمدة من الوحي المؤسس. تصف كوماروف Comaroff هذه المنظومة بأنها «نظام

(١) See again: Sundkler, 1961, p.213

(٢) Mokoko Gampiot, A. (2017). *Kimbanguism: An African Understanding of the Bible* (C. Coquet-Mokoko, Trans.). Pennsylvania State University Press, pp.30-31

(٣) See again: Turner, 1979, p.146

(٤) Mbiti, J. S. (1969). African religions and philosophy. Heinemann

(٥) Eliade, M. (1959). The sacred and the profane: The nature of religion (W. R. Trask, Trans.). Harcourt, Brace & World

لاهوت الأرض الإفريقي بأن استبدلت الأسلاف المؤسسين بالنبي المؤسس الذي يُزعم أنه تلقى وحياً مباشراً، وحوّلت الأرض من حاضنة للأجداد إلى أرض ميعاد جديدة أسستها رؤيا إلهية. وهكذا، بقيت الأرض كياناً حياً ومقدساً، لكنها أصبحت تدين بولائها، ليس للأسلاف، بل للمسيح والنبي معاً، في دمج عميق بين البنية الدينية التقليدية والمضمون المسيحي الخلاصي. ويعيد مفهوم القرية المقدسة جدلية «المقدس والمدنس»، التي أشار إليها الفيلسوف الروماني المعاصر ميرسيا إلياده Mircea Eliade، معبراً عنها بالانقسام الجوهري في الوجود بين فضاءين: «المقدس» الذي هو حقيقة مطلقة ومركز للعالم يفتح فيه الإلهي، و«المدنس» الذي هو فضاء متجانس وفوضوي يفتقر إلى البنية والمعنى.

والقرية المقدسة لم تُعد المفهوم فحسب، ولكنها طوّعت هذه الجدلية لتجعل من الجماعة المؤمنة كلها - لا الملك أو الكاهن فقط - شريكة في القداسة عبر طقوسها اليومية والتزامها بالمرحمت، مما وسّع نطاق المقدس ليشمل الحياة اليومية بأسرها وقلّص مساحة المدنس إلى ما يقع خارج حدود القرية وعهدها^(٤). فالقرية هي حصن للطهارة في مواجهة «بابل» (المدينة الحديثة، الدولة الفاسدة، العالم الأبيض).

المحور الثاني: دوافع التأسيس والوظائف؛

القرية المقدسة أنشئت لتلبي حاجات أساسية يتطلبها المؤمنون بالأفكار الخلاصية المسيحية^(٥)،

(٤) See again: Eliade, 1959, p.20

(٥) تتميز الجماعات الخلاصية المسيحية الإفريقية بعدة خصائص فكرية، أهمها على سبيل الإجمال:
- مركزية شخصية القائد الكاريزمي، الذي يقدم نفسه لأتباعه باعتباره نبياً، أو مسيحاً ملهماً.
- المزج الخلاق بين العناصر المسيحية، مثل (المعمودية، الصليب، الكتاب المقدس) والممارسات والرؤى الكونية الإفريقية التقليدية.
- توطين المقدس، وهو العملية التي تقوم بها الحركات الخلاصية

كوني بديل^(١) تندمج فيه القاعدة القانونية بالطقوسية، عبر محرّمات صارمة تشمل المأكّل والملبس والعلاقات الاجتماعية، ومحاكم كنسية داخلية توقع عقوبات تصل إلى الطرد من أرض القرية المقدسة. هذا الاستقلال القانوني يمنح الجماعة خصوصية نسبية، لكنه يخلق توتراً بنيوياً مستمراً مع سيادة الدولة المدنية.

ثالثاً: علاقة القرية المقدسة بمفهوم «الفضاء المضاد» و«لاهوت الأرض»؛

يتطابق مفهوم القرية المقدسة، في المسيحية الإفريقية، مع مفهوم «الفضاء المضاد» أو الـ Heterotopia عند ميشيل فوكو، حيث يوصّف فوكو في مقاله «في فضاءات أخرى» Of Other Spaces الفضاء المضاد بأنه «موقع حقيقي داخل المجتمع يعمل بمنطق مخالف ومعزول يعكس النظام السائد ويقبله»^(٢)، والقرى المقدسة في المسيحية الإفريقية هي تجسيد دقيق لهذا المفهوم، إذ تخلق داخل الدولة الحديثة نظاماً بديلاً بشريته وزمنه وطقوسه، منعزلاً بشروط دخول صارمة، ومنفتحاً على العالم في الآن ذاته.

كما يرتبط مفهوم القرية المقدسة بمفهوم «لاهوت الأرض» في الثقافة الإفريقية التقليدية الذي يقوم على فكرة أن «الأرض كيان حي مقدس تحتضن الأسلاف الذين هم (حراس) تقاليد العشيرة وأخلاقها»^(٣).

القرية المقدسة هي التجسيد الأقصى لهذا اللاهوت الذي تتحول فيه الأرض إلى جغرافيا طقسية تُعقد عندها العهود ويسكن فيها الإلهي مع الأسلاف والأحياء في وحدة عضوية. فالارتباط بالأرض ليس ملكية فردية، بل عهداً روحياً مع الأجداد والآلهة المعبودة.

لقد أعادت الحركات الخلاصية المسيحية إنتاج

(١) Comaroff, J. (1985). Body of power, spirit of resistance: The culture and history of a South African people. University of Chicago Press

(٢) Foucault, M. (1986). Of other spaces. Diacritics, p.24

(٣) See again: Mbiti, 1969, p.221

المكان على أساس «العهد مع الله»، حيث تندمج الأرض بالجماعة والطقس في «كل عضوي»، وتصير أرضاً للميعاد، ونقيضاً مادياً ورمزياً لذلك الفضاء الاستعماري المدنس.

تُشير عالمة الأنثروبولوجيا جان كوماروف Comaroff إلى أن الحركات الخلاصية الإفريقية سعت إلى بناء (عالم ذي معنى) في مواجهة عالم مزقته الحداثة الاستعمارية، وتؤكد أن هذه الحركات كانت «محاولة لاستعادة السيطرة على العالم من خلال إعادة تشكيل الرموز والممارسات التي مزقتها النظام الاستعماري»^(١).

تُجسّد القرى المقدسة استقلالاً دينياً وثقافياً عن المركزية الأوروبية: يُعلن أن الإفريقي قادر على بناء مملكة الله على أرضه دون وصاية خارجية.

يُصِف رانجر Ranger هذه المستوطنات بأنها «دول مسيحية مصغرة» ذات أنظمة ثيوقراطية خاصة: تُعلن استقلالاً دينياً وثقافياً عن المركزية الأوروبية والاستعمارية^(٢). هذا الوصف يجعل القرية المقدسة «دولة داخل دولة» بمعنى الكلمة، فلها قيادتها الخاصة التي تتمثل في «النبى» أو خليفته، ولها قضاؤها الخاص، بل شرطتها الخاصة أحياناً، ولهذا السبب غالباً ما تكون علاقتها مع الدولة ملتبسة، بين الصراع الناجم عن هذا الوضع الشاذ، فتشأ مشكلات من قبيل (اتهامات بالتهرب الضريبي)، أو (إنشاء الميليشيات الخاصة)، أو استقطاب (الأصوات الانتخابية)، وتوفير (خدمات تغيب عنها الدولة).

وداخل هذا السياق المركب (اللاهوتي السياسي الثقافي الاجتماعي)، تصبح القرية المقدسة ساحة لإنتاج هوية مضادة: هوية «أبناء القرية» مقابل «الغريب»، مما يعزز تماسك الجماعة ضد أي تهديد خارجي.

تلك الحاجات يمتزج فيها المادي مع الروحي، وتلتقي جميعها في كلفة واحدة هي تجاوز هيمنة القيم الغربية الاستعمارية، سواء أكان ذلك فيما يخص الحياة الاجتماعية وما أفرزه الاستعمار فيها من قيم مادية مناقضة للقيم الاجتماعية الإفريقية، أم كان ذلك مرتبطاً بالمفاهيم اللاهوتية لدى الكنائس التبشيرية، التي ثار عليها المسيحيون الإفريقيون، لينتجوا لاهوتهم الخاص. والقرية المقدسة هي التجسيد لهذا التأسيس الذي تكمن ميزته في كونه يلبي احتياجات متداخلة من خلال ثلاث وظائف: روحية، واجتماعية، وسياسية:

أولاً: الوظيفة السياسية: الاغتراب في فضاء

المستعمر:

ينظر أتباع الحركات المسيحية الخلاصية الإفريقية إلى المدن الاستعمارية على أنها صُمِّمت كفضاء عنصري للإقصاء والاستغلال والعمل القسري، ومنع التجول، وتفكيك النسيج العشائري. ولهذا أعادوا إنتاج مفهوم القرية المقدسة بوصفها فضاءً مضاداً للمدينة الاستعمارية.

وفي مواجهة هذا الاغتراب، لم يعتبروا القرية المقدسة مجرد مكان للهروب الروحي، بل مشروعاً (سياسياً/لاهوتياً) لاستعادة الوطن، من خلال إعادة بناء

الإفريقية لنقل مركز الثقل الرمزي الجغرافي المقدس، من مراكز المسيحية التقليدية في (أورشليم التوراتية، روما، كانتبري... إلخ) إلى أماكن في إفريقيا، وذلك ما تجسده هذه القرى المقدسة.

- عدم قصر مفهوم (الخلاص) على البعد الروحي المجرد المرتبط بفران الخطايا والوعود الأخروية، بل يضيفون إليه البعد الدنيوي الحاضر المتمثل في الصحة الجسدية والخصوبة والإنجاب، عبر طقوس مثل (طقس الشفاء).

- إنشاء مجتمعات تطهرية بديلة لمجتمع الدولة الاستعمارية والمدينة العلمانية والمجتمع التقليدي المنهار.

- التمرکز حول شريعة جديدة جاءت بوحى جديد للقائد الذي يزعم أنه رسول المسيح.

انظر: لكاتب المقال، الحركات الخلاصية المسيحية في إفريقيا.. الكيمبانغوية والصهيونية نموذجاً، يونيو ٢٠٢٤، موقع قراءات إفريقية:

<https://qiraatafrican.com/41639/%D8%A7%D9%>

(١) See again: Comaroff, 1985, p.193.

(٢) See again: Ranger, 1986, p.44.

ثانياً: الوظيفة الروحية.. البحث عن أرض ميعاد جديدة:

تستلهم القرى المقدسة في المسيحية الإفريقية رمزية الخروج التوراتي لبني إسرائيل من مصر، حيث يقود النبي المؤسس جماعته خارج «عبودية» المجتمع الاستعماري- وما بعد الاستعماري- إلى «أرض ميعاد» جديدة يمنحهم الله إياها.

هذه الدينامية لا تقتصر على البعد الرمزي، بل تمثل استجابة مادية لإخفاق الدولة ما بعد الاستعمارية في توفير الأمن والرفاهية، فتتحول القرية إلى ملاذ يُقدّم نموذجاً مصغراً لدولة قائمة على التضامن الاجتماعي الديني. في هذا السياق، يصف تيرنس رانجر، Ranger T. O. هذه المجتمعات الدينية الجديدة بأنها «دول داخل الدولة» امتلكت أنظمتها القانونية والاقتصادية والطقسية الخاصة، متحديّة بذلك احتكار الدولة الحديثة للسلطة^(١).

تعتبر القرية (قدس الأقداس): فيها موقع الهيكل الرئيسي أو ضريح المؤسس، وهي مركز الحج السنوي الذي يعيد تمثيل قصة الخلاص، كما تُقدّم نقطة اتصال ملموسة مع الإله المحلي القريب بدلاً من الإله البعيد الذي بشر به المبشرون الأجانب.

ولذلك تُبنى القرية وتُظَم عمرانياً على «جغرافيا داخلية مقدسة»: فالشوارع والأحياء تُسمّى بأسماء كتابية مثل (أورشليم، بيت لحم، نهر الأردن)، والغرض من ذلك خلق أرض مقدسة بديلة في إفريقيا. وفي هذا السياق حتى «الزمن يكون مقدساً»: فلكل قرية التقييم الطقسي الخاص بها، الذي يختلف عن تقويم الدولة.

ثالثاً: الوظيفة الاجتماعية - الاقتصادية.. تلبية الحاجة إلى مركز للخلاص الشامل:

يعتقد الخلاصيون أنه لا يمكن تحصيل الخلاص الكامل (صحة، خصوبة، طرد أرواح) في فضاء مدنس، بل يتطلب الأمر «مختبراً مقدساً» يمكن التحكم فيه في

جميع مدخلات الحياة اليومية: الماء المبارك، الطعام الطاهر، الهواء الخالي من الشياطين^(٢).

القرية المقدسة، بهذا المعنى، هي فضاءٌ ضروري لتجسيد «أمة المسيح» على الأرض، بوصفها برهاناً مادياً على صدق الوعد الإلهي. ويؤكد كيّرنان Kiernan هذا البعد حين يصف مجتمعات كنائس صهيون بأنها «جزر من النظام والنقاء في محيط من الفوضى والتلوث»، حيث يُعاد تنظيم المكان والجسد والزمن في إطار طقسي يضمن للأتباع حياة كاملة لا يعترها المرض والشر، على حد زعمهم^(٣).

بُنيت القرى المقدسة من أجل خلق مجتمع بديل قائم على «الشرعية»، وخاضع لقوانين صارمة في الطهارة، والمأكّل والمشرب، وقواعد اللباس؛ فالكحول والمخدرات محرمة، وكذلك يحرم التدخين، وأكل لحم الخنزير والحيوانات غير المذكاة، والزنا والعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، بل إن الحيض والنفس يستوجبان طقوس تطهير وعزلة مؤقتة. كما تخضع لنظام صارم في الفصل بين الجنسين، وتنظيم الزواج^(٤). وتضبط قواعد اللباس بصرامة؛ فيحرم على النساء ارتداء السراويل أو كشف الشعر داخل الفضاء المقدس، ويُفرض على الرجال والنساء على السواء أردية بيضاء ترمز إلى النقاء والانفصال عن العالم المدنس.

ويحرم ارتداء المجوهرات والزينة المفرطة باعتبارها إغراءات (بابل)، فضلاً عن تحريم استخدام وسائل منع الحمل أو الإجهاض، لأن الخصوبة تُعد علامة

(٢) Moodley, E. J. (2022). The sacred city of Moria: Religious pilgrimage, infrastructure and political power in post-apartheid South Africa. Journal of Religion in Africa, *52*(3), 301–328.

(٣) Kiernan, J. P. (1990). The production and management of therapeutic power in Zionist churches within a Zulu city. Edwin Mellen Press, p.112.

(٤) هذه القواعد والقوانين الطهرانية تطبق بالكامل على قرى (نكونغو، وموريا، وإيكوبا، ومدينة الخلاص)، مع تفاوت يسير في أسلوب الفصل بين الجنسين داخل القرية.

(١) See Again: Ranger, 1986, p.31.

البركة الإلهية. يضاف إلى ذلك تحريم استشارة العرافين التقليديين أو ممارسة الطب الشعبي خارج سلطة (النبي). هذه المنظومة من المحرمات لا تفهم بوصفها مجرد نواميس أخلاقية، بل هي سياق الطهارة الذي يحمي أرض الميعاد من التلوث، وشرط الإقامة داخل «مختبر الخلاص الشامل».

وتخصص كوماروف Comaroff، في مؤلفها «جسد السلطة، روح المقاومة: ثقافة وتاريخ شعب من جنوب إفريقيا»، فصلاً كاملاً لتحليل «مدونة الطهارة» في كنائس صهيون، موضحةً «كيف أن تحريم الكحول والتبغ ولحم الخنزير، وفرض الأردية البيضاء، وضبط العلاقات الجنسية والطقوس المرتبطة بالجسد الأنثوي، لم تكن مجرد قواعد أخلاقية، بل شكلت اقتصاداً رمزياً أعاد للجماعة المقهورة سيطرتها على أجسادها وهويتها في مواجهة تفكيك الاستعمار»^(١).

والقرى المقدسة هي مدن للرفاهية والتعاون، حيث تسعى الطائفة إلى توفير فرص عمل للأتباع في مزارع الكنيسة وورشها، كما تنشئ المدارس والمستشفيات الخاصة بالقرية، مما يجعلها واحة للفقراء ومركزاً للصعود الاجتماعي. فهي تعيد خلق النسيج القبلي المفقود في مواجهة الاغتراب الحضري والتفكك الاجتماعي. يُحلل ويلسون Wilson بناء المدن المقدسة كمراكز طوباوية منفصلة عن العالم الفاسد، تُهيأ لاستقبال المؤمنين وتُشكل «عشائر مقدسة» تعوض عن الاغتراب الحضري والتفكك الاجتماعي^(٢).

المحور الثالث: نماذج تطبيقية (دراسة حالات نموذجية):

تتنوع نماذج القرى المسيحية المقدسة في إفريقيا بتنوع سياقاتها التاريخية وخصوصيتها اللاهوتية، ولكنها تشترك جميعاً في كونها تمثل تجسيداً جغرافياً لوعي مؤسس أنتج فضاءً مضاداً للعالم الحداثي.

ومن أبرز هذه النماذج (موريا) في جنوب إفريقيا وهي مقر كنيسة صهيون المسيحية، و(نكونغو) في الكونغو الديمقراطية مقر الطائفة الكيمبانغوية، و(إيكوباكاميني) في جنوب إفريقيا مقر (النبي) إزايا شيمبي ومركز كنيسة أما نازاريتا (الناصريين)، بالإضافة إلى مدن وقرى أخرى مثل (مدينة الخلاص) في نيجيريا، و(جبل موريا) المقدس في أوغندا، و(مدينة النور) في كوت ديفوار بقيادة (النبي) هارون.

وفي هذه الدراسة نتناول أربعة نماذج للقرى المقدسة، وهي: (نكامبا) في الكونغو الديمقراطية، و(موريا) و(إيكوباكاميني) بجنوب إفريقيا، ثم (مدينة الخلاص) في نيجيريا. وتغطي هذه النماذج الأربعة ثلاثة أقاليم كبرى في إفريقيا جنوب الصحراء؛ هي وسط إفريقيا، وجنوب إفريقيا، وغرب إفريقيا، ولكنها لا تغطي شرق إفريقيا رغم وجود حركات نبوية ومستوطنات مقدسة مثل حركة «إلياء الرسول» في أوغندا، وكنيسة «الروح القدس» في كينيا، ولكن التركيز في هذه الدراسة على المناطق ذات الكثافة لهذه الظاهرة، خاصة الجنوب الإفريقي والكونغو، حيث تقدم في هذه الدراسة (دراسة حالات نموذجية) لا مسحاً شاملاً.

هذا بالإضافة إلى أن النماذج الأربعة تقدم تمثيلاً زمنياً يغطي ثلاث مراحل مهمة:

- المرحلة الاستعمارية المبكرة؛ وتمثلها كلٌّ من (نكامبا) و(إيكوباكاميني).

- مرحلة ما بعد الاستعمار؛ وتغطيها (موريا) في تطورها اللاحق.

- مرحلة النيوليبرالية والعولمة؛ وتغطيها (مدينة الخلاص) التي تأسست في السبعينيات من القرن العشرين وتوسعت في التسعينيات منه.

أولاً: (نكامبا/ نكونغو) - الكونغو الديمقراطية:

تُعد قرية نكامبا Nkamba، أو نكونغو، في الكونغو الديمقراطية النموذج الأكثر اكتمالاً للقرية المقدسة المسيحية الإفريقية، فهي مهد الحركة الكيمبانغوية ومقرها الروحي، ومكان ميلاد (نبيها)، وتضم ضريحه

(١) See again: Comaroff, 1985

(٢) See again: Wilson, 1973, p.129

والمعبد المركزي، بالإضافة إلى بُنى تحتية شبه مستقلة، وتُعتبر أكبر مركز للحج في وسط إفريقيا.



أسسها سيمون كيمبانغو عام ١٩٢١م، عقب ادعائه تلقي الوحي الإلهي الذي أمره بممارسة الشفاء والتبشير، وسرعان ما تحولت كنونغو إلى مركز لجذب الحشود، مما أثار قلق السلطات الاستعمارية البلجيكية التي اعتقلت كيمبانغو وحكمت عليه بالإعدام ثم خففته إلى السجن المؤبد.

تصف عالمة اللاهوت السويسرية ماري لويز مارتن M.L. Martin نكامبا بأنها (أورشليم الجديدة) بالنسبة للكيمبانغويين، وتقول إنها قرية محاطة بسياج طقسى من المحرمات الصارمة التي تضبط داخلها وخارجها^(١).

أما سيمون كيمبانغو نفسه، فقد حدد هوية قريته، في إحدى مواعظه المسجلة، بقوله: «نكونغو هي المكان الذي اختاره الله ليكون مركز العالم الجديد، ومنها ينبثق الخلاص لكل إفريقيا»^(٢) -^(٣).

بهذا التصريح أسس كيمبانغو لاهوت المكان، وجعل نكامبا محجاً سنوياً إلزامياً في السادس من أبريل الذي يوافق ذكرى تأسيس الحركة، وفي الثاني عشر من أكتوبر الموافق ذكرى وفاة كيمبانغو.

وتصف الباحثة الفرنسية المتخصصة في الحركات الدينية في إفريقيا سوزان آش S. Asch مشهد الحجاج خلال موسم الحج، حيث يصعد الآلاف إلى «الجبل المقدس» حفاة الأقدام، مرتدين الزي الأخضر المميز، ويغطسون في «نبع الشفاء» Nsambi الذي باركه كيمبانغو بنفسه، ثم يصلون عند قبره، الذي يعدونه قبراً حياً، لأنه لم يمض بل اختفى، حسب اعتقادهم^(٤).

ويروي الباحث الكونغولي ج.بي بوكيتا J.P. Boketa، في دراسته الميدانية عن (الحج إلى نكامبا ١٩٩٢)، طقس تقديم البخور والصلوات السبع الذي يؤدي ثلاث مرات يومياً في الهيكل المركزي، ويتخلله هزّ أغصان النخيل المقدسة وترديد ترانيم كيمبانغو الأصلية باللغة الكونغولية. ولا يكتمل الحج إلا بشرب الماء المبارك وحمل قارورة منه إلى البيت، إذ يعتقد الكيمبانغويون أن هذا الماء يحمل «قوة نكونغو» الشفائية، ويحمي البيوت من السحر والأرواح الشريرة طوال العام^(٥).

في أحدث تطور قانوني في إطار العلاقة مع الدولة، أعلن رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية فيليكس تشيسيكيدى، في أبريل ٢٠٢٦م، منح قرية (نكامبا) وضع «المدينة

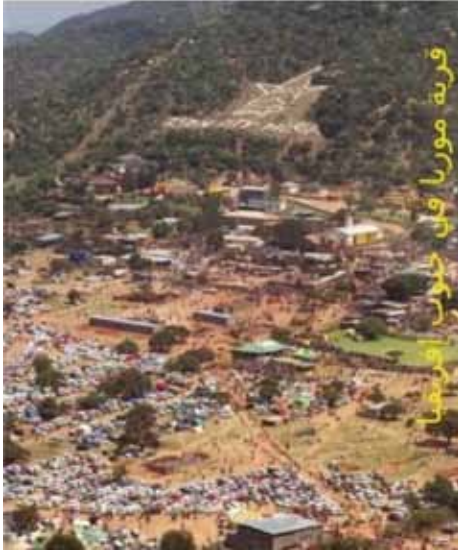
(١) Martin, M.-L. (1975). Kimbangu: An African prophet and his church. Basil Blackwell.

(٢) Diangienda, J. (1984). Histoire du Kimbanguisme. Éditions Kimbanguistes, p.52.

(٣) جمع جوزيا ديانجيندا (ابن كيمبانغو وخليفته) في هذا الكتاب النصوص التأسيسية للحركة، متضمناً عظات والده وأقواله عن كونغو والممارسات الطقسية.

(٤) Asch, S. (1983). L'Église du prophète Kimbangu: De ses origines à son rôle actuel au Zaïre. Karthala.

(٥) Boketa, J.-P. (1992). Les pèlerinages à Nkamba: Étude socio-religieuse. Centre d'Études des Religions Africaines.



المقدسة» رسمياً، ثم بدأت إجراءات تنفيذية لتحديد حدودها ومخططها العمراني، بأهداف تشمل حماية الطابع الروحي وتنظيم الحج وتعزيز الإشعاع الدولي^(١).

تمثل الواقعة لحظة فارقة في انتقال المكان المقدس من الشرعية النبوية الداخلية إلى الاعتراف السيادي الرسمي، مما يفتح سؤالاً: هل يحفظ هذا الاعتراف القداسة أو يُخضعها لمنطق الدولة؟

ثانياً: قرية (موريا) - جنوب إفريقيا:

قرية موريا Moria في مقاطعة ليمبوبو بجنوب إفريقيا، هي المقر المركزي لكنيسة صهيون المسيحية ZCC، وتُجسّد النموذج الأضخم والأكثر تنظيمًا للقرية المقدسة المسيحية الإفريقية، وتعتبر أعظم تجمع حج سنوي في جنوب إفريقيا، حيث يؤمّها ملايين الزوار، وأصبح الحج إليها منصةً للسياسيين لاستجداء أصوات الناخبين، مما يظهر القوة السياسية للكنيسة^(٢).

تأسست موريا على يد إنجياس ليكفانيان Engenas Lekganyane، بعد أن ادعى تلقيه رؤيا تأمره بالارتحال إلى تلك البقعة وتأسيس «مدينة الله». وانتقل مركز كنيسة صهيون المسيحية تدريجياً إلى منطقة Boyne قرب بولكواني، حيث حصل إنجياس ليكفانيان، بمساعدة أعضاء الكنيسة، على مزرعتين أصبحتا تُعرفان لاحقاً باسم Zion City Moria. وتختلف المصادر في تحديد تاريخ عملية الحصول على الأرض، بين الأعوام (١٩٢٨، ١٩٤٢، ١٩٤٣م)^(٣).

(١) Primature de la République démocratique du Congo. (2026, April 10). Compte-rendu de la 86e réunion du Conseil des ministres

(٢) أحدث مثال على ذلك هو: حضور الرئيس الجنوب إفريقي سيريل رامافوزا حج عيد الفصح في موريا، في ٥ أبريل ٢٠٢٦م، حيث التقى قيادة الكنيسة في تجمع شهد وصول ملايين المصلين. وذكرت صحيفة Eyewitness News أن زيارة الرئيس ولقاءه قيادة الكنيسة خلال موسم الحج أصبحت ممارسة مأثوفة. كما يؤكد تقرير Financial Mail، المنشور في مارس ٢٠٢٦م، أن القادة السياسيين منذ انهيار نظام الفصل العنصري في أوائل التسعينيات توافدوا إلى موريا لاستمالة أعضاء ZCC بوصفهم كتلة انتخابية محتملة، مشيراً إلى أسماء مثل مانديلا ودي كليرك وزوما ورامافوزا. انظر:

Eyewitness News, "President Ramaphosa arrives – at St Engenas ZCC for Easter pilgrimage in Morija", ٥ أبريل ٢٠٢٦م، <https://www.ewn.co.za/2026/04/05/president-ramaphosa-arrives-at-st-engenas-zcc-for-east>

er-pilgrimage-in-moria?utm_source=chatgpt.com#google_vignette - Financial Mail, "Profits of the Moria pilgrimage - ٢٦ مارس ٢٠٢٦، https://fm.co.za/news-and-fox-2026-03-26-profits-of-the-moria-pilgrimage/?utm_source=chatgpt.com

(٣) تختلف المصادر في تاريخ تأسيس موريا، بينما تشير مصادر أكاديمية مثل (Resane. ٢٠٢٠) إلى أن إنجياس ليكفانيان اشترى مزرعة إلى الشرق من بيتربورغ (Pietersburg، بولكواني حالياً)، وأطلق عليها اسم Mo-ria، ثم أصبحت بعد ذلك مكاناً لحج أتباع الكنيسة. بينما تذكر بعض المصادر الأكاديمية الأخرى أن مقر الكنيسة نُقل تدريجياً إلى مزرعتين في منطقة بوني Boyne قرب بولكواني، وأصبحت الملكية الجديدة تُعرف باسم Zion City Moria. وتختلف المصادر في تأريخ عملية الحصول

وموريا ليست مجرد قرية، بل ظاهرة عمرانية مؤقتة ودائمة، وطبقاً لوصف مؤرخ الأديان ألان أندرسون A. Anderson، موريا هي «مدينة خيام» شاسعة، تتحول خلال موسم الحج إلى مستوطنة مؤقتة تتووي أكثر من مليوني حاج، وتتمحور حول هيكل ضخم يتسع لعشرات الآلاف، وتتنظم فيها الشوارع والمرافق الصحية والأسواق بإدارة كنسية محكمة، في مشهد يزاوج بين النظام العسكري والطقس الديني^(١).

حدد المؤسس إنجيناس ليكفانيان هوية موريا في عظمته التأسيسية بقوله: «هذه هي الأرض التي وعدني بها الله في الرؤيا، ومن هنا ستتبع بركة الشفاء لكل الأمم»^(٢). وقد خلفه لاحقاً ابنه إدوارد الذي وسّع المدينة ورسّخ طقوسها.

يبدأ موسم الحج إلى موريا خلال عيد الفصح من كل عام. ويصف عالم الأنثروبولوجيا جيمس باتريك كيرنان، في دراسته عن إدارة القوى العلاجية في الكنائس الصهيونية (١٩٩٠)، مشهد الحجج وهم يصطفون في مواكب تمتد لكيلومترات مرتدين زياً موحداً مطرزاً بشعار النجمة، حاملين «العصا المقدسة بوصفها أكبر موقع حج مسيحي في البلاد. واللافت في التغطية الإعلامية لهذا الموسم؛ أن الحج لم يكن حدثاً دينياً فحسب، فقد تناولت Financial Mail في مارس مسألة الأرباح والنشاط الاقتصادي المصاحب لحج موريا، بما يشمل حركة الحجاج والإنفاق والخدمات المرتبطة بالتجمع، مما يؤكد أن موريا ما زالت تؤدي الوظائف الثلاث التي تحدثنا عنها سابقاً: مركز حج، ومدينة دينية، ومحرك اقتصادي موسمي^(٣).

على الأرض، إذ تضعها بعض الروايات في عام ١٩٣٨م، ويذكر Müller عام ١٩٤٣م، بينما تشير أطروحة أكاديمية بجامعة جنوب إفريقيا إلى عام ١٩٤٢م. نقلاً عن دراسات أندرسون وHanekom. انظر:

حدد المؤسس إنجيناس ليكفانيان هوية موريا في عظمته التأسيسية بقوله: «هذه هي الأرض التي وعدني بها الله في الرؤيا، ومن هنا ستتبع بركة الشفاء لكل الأمم»^(٢). وقد خلفه لاحقاً ابنه إدوارد الذي وسّع المدينة ورسّخ طقوسها.

يبدأ موسم الحج إلى موريا خلال عيد الفصح من كل عام. ويصف عالم الأنثروبولوجيا جيمس باتريك كيرنان، في دراسته عن إدارة القوى العلاجية في الكنائس الصهيونية (١٩٩٠)، مشهد الحجج وهم يصطفون في مواكب تمتد لكيلومترات مرتدين زياً موحداً مطرزاً بشعار النجمة، حاملين «العصا المقدسة بوصفها أكبر موقع حج مسيحي في البلاد. واللافت في التغطية الإعلامية لهذا الموسم؛ أن الحج لم يكن حدثاً دينياً فحسب، فقد تناولت Financial Mail في مارس مسألة الأرباح والنشاط الاقتصادي المصاحب لحج موريا، بما يشمل حركة الحجاج والإنفاق والخدمات المرتبطة بالتجمع، مما يؤكد أن موريا ما زالت تؤدي الوظائف الثلاث التي تحدثنا عنها سابقاً: مركز حج، ومدينة دينية، ومحرك اقتصادي موسمي^(٣).

على الأرض، إذ تضعها بعض الروايات في عام ١٩٣٨م، ويذكر Müller عام ١٩٤٣م، بينما تشير أطروحة أكاديمية بجامعة جنوب إفريقيا إلى عام ١٩٤٢م. نقلاً عن دراسات أندرسون وHanekom. انظر:

Resane, K. T. (2020). African Zionism and its contribution to African Christianity in South Africa. Scriptura, 119(1). DOI: 10.7833/119-1-1768. See also: Wouters, J. M. F. (2014). A historical synopsis of the Zion Christian Church. Unpublished dissertation, University of South Africa

Anderson, A. (1992). Bazalwane: African pentecostals in South Africa. University of South Africa Press

Lukhaimane, E. K. (1980). The Zionist churches in South Africa: The case of the ZCC. South African Historical Journal, *12*(1), 31-42

(٢) .See again: Kiernan, 1990

(٤) .See again: Comaroff, 1985

(٥) enCA. (2026, April 4). ZCC gathering fuels Polokwane economy. <https://www.enca.com/videos/zcc-gathering-fuels-polokwane-economy>

ثالثاً: قرية إيكوباكاميني EKuphakameni

- بجنوب إفريقيا؛

تقع قرية إيكوباكاميني Ekuphakameni، التي تُعرف محلياً بإيكوبا، في مقاطعة كوازولو في إقليم ناتال بجنوب إفريقيا، وتمثل المركز الروحي لكنيسة الناصريين lamaNazaretha، وتعتبر نموذجاً صارماً للقرية (الحصن)، وتطبق «شريعة شيمبي» بدقة، وهي موقع للحج الشهري وليس السنوي فقط، مما يعزز مركزيتها الدائمة.



تأسست إيكوباكاميني على يد إزايا شيمبي عام ١٩١٦م، واسمها بلغة الزولو يعني (المكان المرتفع) أو «المكان الذي ارتفع فيه النور»، وهو اسم يزعم شيمبي أنه تلقاه بالوحي.

تتميز إيكوبا بمساكنها التي تقوم على الفصل بين الرجال غير المتزوجين والنساء العذارى، مما يعكس لاهوتاً أخلاقياً متجسداً في العمران. ويصف سونديكر، الذي زار إيكوبا مراراً خلال أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، القرية بأنها «مدينة مقدسة مخططة بعناية، تضم هيكلاً مركزياً ضخماً، وبيوتاً بيضاء متطابقة للكهنة والأعضاء الدائمين، وحدائق مزهرة، ومقبرة للشهداء، وسوقاً، ومدرسة، ومستوصفاً؛ كلها تتنظم في شوارع عريضة تحمل أسماء كتابية، في مشهد ينم عن نظام ثيوقراطي صارم وأنيق في آن معاً»^(١).

أما عالم اللاهوت الجنوب إفريقي جيرهاردوس كورنيليس أوستويزن G.C. Oosthuizen فقد وصف،

في كتابه الذي حلل فيه ترانيم شيمبي (١٩٦٧)، دخوله إلى إيكوبا قائلاً: «تشعر وأنت تعبر بوابتها أنك تركت عالماً ودخلت آخر، فالناس يتحركون بوقار، والنساء يرتدين الأبيض، والرجال يحيون بعضهم بعبارة (سلام الرب)»^(٢).

وبالنسبة إلى إزايا شيمبي نفسه، فقد صاغ لاهوت المكان في إيكوبا بوضوح حين قال في إحدى عظاته المسجلة: «كما اختار الله أورشليم، اختار إيكوبا. هي ليست قرية بل هي باب السماء على الأرض، ومن يصعد إليها بإيمان يخرج مغفوراً له ومعافى»^(٣).

وقد نظم شيمبي الحياة الطقسية في إيكوبا حول ثلاثة مواسم حج كبرى، هي: عيد الفصح في أبريل، وعيد الاجتماع الكبير في يوليو، وعيد رأس السنة الناصرية في أكتوبر.

ويصف روبرت بابيني Papini. R مشهد عشرات الآلاف من الحجاج وهم يخلعون أحذيتهم عند مدخل القرية ويسيطرون حفاة في مواكب راقصة على إيقاع الطبول والترانيم الزولوية، حيث يؤدي طقس «رقصة داود» الشهيرة التي استوحيت مما ورد في العهد القديم عن رقص داود أمام تابوت العهد. وتُتَوَّج رحلة الحج بطقس «الغطاس المقدس» في بركة إيكوبا التي باركها شيمبي بنفسه، حيث يغطس الحجاج طلباً للشفاء الجسدي والروحي، ثم يتناولون «خبز السماء» و«عصير الكرمة» في طقس يشبه القربان المقدس لكنه مشبع برموز الزولو التقليدية^(٤).

(٢) Oosthuizen, G. C. (1967). The theology of a South African Messiah: An analysis of the hymn of "The Church of the Nazarites". E. J. Brill, p.63

(٣) Gunner, L. (2002). The man of heaven and the beautiful ones of God: Writings from Ibandla lamaNazaretha, a South African church. Brill, p.78

(٤) Papini, R. (1992). The Nazareth Church: Tradition, innovation and the "dance of power". Journal of Religion in Africa, *22*(4), 327-350

(١) See again: Sundkler, 1961

رابعاً: مدينة الخلاص Redemption City - نيجيريا:

تُعدّ مدينة الخلاص، الواقعة على طريق (لاغوس- إبادان) السريع في ولاية أوغون جنوب غربي نيجيريا، من أبرز النماذج المعاصرة للقرية المقدسة المسيحية في إفريقيا، وإنْ كانت في صورة «مدينة كنسية» متكاملة تجاوزت الطابع القروي التقليدي.



هذه المدينة تابعة لكنيسة الله المفدية RCCG، التي أسسها القس جوزيا أكينديومي Josiah Akindoyomi في عام ١٩٥٢م، ثم خلفه في قيادتها، بعد وفاته عام ١٩٨٠م، القس إينوك أديبوي E.A. Adeboye، وقد شهدت توسعاً هائلاً منذ تولي القس أديبوي قيادتها عام ١٩٨١م، حيث بدأت نواتها في مخيم صلاة متواضع عام ١٩٨٢م، قبل أن تتحول تدريجياً إلى قضاء ديني وعمراني متكامل، حصل رسمياً على وضع «مدينة» عام ١٩٩٨م، ثم أعيدت تسميتها بـ«مدينة الخلاص» عام ٢٠٢٢م^(٤).

ومن الناحية العمرانية، تمتد المدينة على مساحة تتجاوز ٢٥٠٠ هكتار، وتضم شبكات طرق معبدة، ومجمعات سكنية مسوّرة، بالإضافة إلى جامعة ريديمر، ومستشفيات، ومصارف، ومحطة كهرباء تعمل بالغاز، مما جعلها، وفقاً لـ لاركن Larkin «فضاءً مقدساً حديثاً لا يكتفي بفصل نفسه عن المدينة العلمانية، بل يبني بديلاً كاملاً عنها»^(٥).

/stop-shembe-churchs-holy-mountain-trip

.See again: Ukah, 2018, p.357 (٤)

Larkin, B. (2020). The sacred city and the (٥)

وتُشير كارون آن مولر Müller C. إلى أن النساء العذراوات يلعبن دوراً محورياً في طقوس إيكوبا، إذ يقمن بإعداد الخبز المقدس، وحراسة النار الطقسية التي لا تنطفئ منذ تأسيس القرية، ويرتدين أثواباً بيضاء طويلة وحجاباً أزرق يميزهن بوصفهن «راهبات الناصرة»^(١).



لم تحمل السنوات الأخيرة أي تطور جوهري في وظيفة إيكوباكمني؛ فقد حافظت إلى حد كبير على نمطها التقليدي بوصفها مركزاً للطقوس والحج والرقص والذاكرة الدينية لشيمبي. بل إن المصادر تؤكد استمرار المهرجانات الدورية في يناير وأبريل ويوليو وسبتمبر^(٢). بل إن المنافسة بين فصائل كنيسة الناصرة على المجال المقدس، ظهرت بوضوح في أزمة في حج نوفمبر ٢٠٢٤م، عندما سعت الشرطة إلى منع إحدى مجموعات كنيسة الناصرة من صعود جبل نلانغاكازي في الوقت نفسه الذي كانت فيه مجموعة أخرى تستعد للصعود، بسبب التوترات بين فصائل الكنيسة المتنافسة. هذه الواقعة تكشف أن إدارة المجال المقدس أصبحت مرتبطة بالصراع التنظيمي بين فصائل شيمبي، وليس بالطقوس الدينية وحدها^(٣).

(١) Müller, C. (1999). Rituals of fertility and the sacrifice of desire: Nazarite women's performance in South Africa. University of Chicago Press

(٢) South African History Online. (2023, January 6). Nhlankakazi, the Holy Mountain of the Shembe. South African History Online. (Updated February 24, 2025). <https://sahistory.org.za/ref/P-0151914>

(٣) Sikhakhane, C. (2024, November 27). Police try to stop Shembe church's holy mountain trip. Scrolla.Africa. <https://scrolla.africa/police-try-to>

وتؤدي المدينة وظائف روحية واجتماعية واقتصادية وسياسية متشابهة: فعلى المستوى الروحي، تستضيف ما يُسمّى بـ«الخدمة الشهرية للروح القدس»، وهو «الاجتماع الليلي المقدس» الذي يُعقد في أول جمعة من كل شهر، ويُعدّ الحدث الطقسي الأكبر، حيث يجذب أكثر من مليون مصل إلى المدرج المركزي، في مشهد يصفه أوباداري Obadare بأنه «شبه مصنعاً متكاملًا لإنتاج المعجزات»^(١). أما المؤتمر السنوي في ديسمبر، فيُمثّل موسم الحج الكبير الذي يحضر فيه عشرات الآلاف من خارج نيجيريا، وهو بذلك يعيد إنتاج منطق الحج المقدس لكن بإيقاع أسرع وأكثر استمرارية من القرى التقليدية^(٢).

أما اجتماعياً، فتحكم المدينة مدونة أخلاقية صارمة، مستمدة من لاهوت القداسة، وفقاً لأوكاه Ukah الذي يصف ذلك بقوله: «الكحول محرمة، واللباس خاضع لضوابط دقيقة، والعلاقات بين الجنسين مراقبة، ويُفترض بالمقيم أن يكون مريضاً في الصلوات والاجتماعات. هذه المدونة لا تُفرض بوصفها قانوناً مدنياً، بل بوصفها شريعة روحية تجعل الالتزام بها علامة على الانتماء للمكان المقدس»^(٣).

واقتصادياً، تمثل المدينة نموذجاً لما يسميه أوكاه «الرأسمالية الخلاصية»، حيث تتداخل روحانية الوفرة بمنطق السوق، وتُدار الموارد عبر شركات استثمارية في تكيف لافت مع النيوليبرالية^(٤).

أما سياسياً، فقد أقامت المدينة بُنى تحتية وخدمات

موازية للدولة النيجيرية، بما في ذلك جهاز أمني خاص، وطرق ومحطات كهرباء، في مشهد يصفه لاركن بأنه «استيلاء على وظائف الدولة بمنطق ديني» يحوّل المكان المقدس إلى موقع سيادي منافس^(٥).

وفيما يتعلق بالعلومة، لم تكن المدينة منعزلة عنها، بل أدمجت أدواتها؛ من بث تلفزيوني فضائي وإنترنت وشراكات دولية، ضمن بنيتها التقديرية، بحيث صارت «في الوقت ذاته انسحاباً من العالم وتمرداً فيه»^(٦). هذا الازدواج يمثل حلاً مختلفاً لمعضلة «بابل في أورشليم»: فبدل رفض العلومة، تعمل مدينة الخلاص على تعميدها، أي تحويل الإنترنت والإعلام إلى أدوات كرازية تجعل من القرية المقدسة مركزاً كونياً يبيث قداسه إلى العالم.

وهكذا، تُجسّد مدينة الخلاص أعلى مراحل تطور القرية المقدسة الإفريقية: من ملاذ قروي مضاد للاستعمار إلى مدينة كنسية نيوليبرالية تتفاوض مع الدولة والعلومة، دون أن تفقد جوهرها بوصفها فضاءً مقدساً بديلاً عن العالم المدنس.

الحياة الطقسية في مدينة الخلاص لا تتركز في موسم واحد فقط، وإنما تقوم على روزنامة دينية كثيفة تمتد طوال العام. وهذا ما حدث في فعاليات العام الحالي ٢٠٢٦م، حيث شهدت سلسلة منتظمة من أكبر فعاليات RCCG، أبرزها:

الخدمة الخاصة للروح القدس في مارس ٢٠٢٦م، وكانت ذات أهمية استثنائية لأنها تزامنت مع مرور ٤٠ عاماً على انطلاق هذه الخدمة الشهرية، والمؤتمر السنوي الرابع والسبعون لـRCCG الذي انعقد في مدينة الخلاص في أغسطس ٢٠٢٦م.

ومن أهم الفعاليات المنتظرة فيما تبقى من شهور العام ٢٠٢٦م: المؤتمر العالمي للبعثات الإفريقية في ديسمبر المقبل، ومؤتمر الشباب في أكتوبر. ولكن الحدث الأكثر

postcolony: Infrastructure, media and religious space in Nigeria. Duke University Press., p.89

Obadare, E. (2018). Pentecostal republic: Religion and the struggle for state power in Nigeria. University of Chicago Press, p.67

See again: Ukah, 2018, p. 362; Obadare, 2018, p.89

.See again: Larkin, 2020, p.162 (٥)

.See again: Ukah, 2008, p.183 (٣)

.See again: Larkin, 2020, p.205 (٦)

.See above, p.238 (٤)

على الأرض»^(٤)، بما يعكس انتقال المكان المقدس من فضاء للمقاومة والتميز الديني إلى مركز ديني عالمي يستجيب لحاجات الإنسان المعاصر.

والخلاصة أن الخطاب ينتقل من المركزية الكونية والتحرر الإفريقي في نكامبا، إلى الوعد والشفاء في موريا، فالبدل الأورشليمي والحضور المكاني في إيكوباكاميني، وصولاً إلى الملاذ والعولمة في مدينة الخلاص؛ وهو ما يكشف تحولاً تدريجياً في وظيفة الخطاب المقدس من مقاومة المركز الاستعماري إلى إنتاج مركز ديني عالمي يتفاعل مع الدولة والسوق والعولمة.

جدول رقم (١): تحليل الخطاب اللاهوتي:

القائد	القرية	جملة مثالية من الخطاب	النبرة الغالبة	الوظيفة الأساسية للخطاب
كيمبانغو	نكامبا	«نكونغوهي المكان الذي اختاره الله ليكون مركز العالم الجديد، ومنها ينبثق الخلاص لكل إفريقيا».	كونية تحررية	إزاحة المركزية الأوروبية
ليكنانيان	موريا	«هذه هي الأرض التي وعدني بها الله وعدني بها الله في الرؤيا، ومن هنا ستنبثق بركة الشفاء لكل الأمم».	وعدية شخصانية	تأسيس شرعية المكان عبر الرؤيا والكاريزما
شيمبي	إيكوباكاميني	«كما اختار الله أورشليم، اختار إيكوبا. هي ليست قرية بل هي باب السماء على الأرض».	استبدالية حصرية	جعل الخلاص مشروطاً بالحضور المكاني والحج
أديبويي	مدينة الخلاص	«ملاذ من فوضى العالم، وبوابة للسماء تفتح فيها السماء على الأرض».	براغماتية عولمية	تلبية الحاجات الروحية المعاصرة

الجدول من إعداد الباحث

أهمية الذي تنتظره مدينة الخلاص هو المؤتمر الروحي الأكبر Holy Ghost Congress في الفترة من ٧-١٢ ديسمبر؛ لأنه يجمع في مكان واحد بين الحج الجماهيري، والعبادة، والتبشير، والإعلام الرقمي، والنشاط الاقتصادي.

المحور الرابع: مقارنة تحليلية للخطاب اللاهوتي والوظائف والخصائص والفعاليات أولاً: تحليل الخطاب اللاهوتي للقادة المؤسسين:

يكشف الخطاب التأسيسي للقادة الأربعة عن بنية مشتركة تقوم على ادعاء الاختيار الإلهي للمكان، ومنحه هوية مقدسة، وتوسيع وظيفته الخلاصية، مع اختلاف دلالة الخطاب بحسب السياق التاريخي والكاريزما المؤسسة. ففي خطاب سيمون كيمبانغو تتخذ القداسة بُعداً كونياً وتحريراً، إذ تُقدّم نكامبا بوصفها «المكان الذي اختاره الله ليكون مركز العالم الجديد، ومنها ينبثق الخلاص لكل إفريقيا»^(١)، بما يعكس مواجهة رمزية للمركزية الاستعمارية.

وفي موريا، يتركز خطاب إنجناس ليكنانيان على الوعد الشخصي والشفاء، إذ يصفها بأنها «الأرض التي وعدني بها الله في الرؤيا، ومن هنا ستنبثق بركة الشفاء لكل الأمم»^(٢)، وهو ما يعزز الطابع الكاريزمي للمكان. أما إزايا شيمبي فيقدم أكثر الخطابات استبدالية ومكانية، حين يقول عن إيكوباكاميني: «كما اختار الله أورشليم، اختار إيكوبا... باب السماء على الأرض»^(٣)، فيربط الخلاص بالحضور والحج إلى المكان.

بينما يتخذ خطاب إينوك أديبويي طابعاً أكثر براغماتية وعالمية، إذ تُقدّم مدينة الخلاص بوصفها «ملاذاً من فوضى العالم، وبوابة للسماء تفتح فيها السماء

(١) Diangienda, J. (1984). Histoire du Kimbanguisme. Éditions Kimbanguistes, p.52

(٢) Lukhaimane, E. K. (1980). The Zionist church-es in South Africa: The case of the ZCC. South African Historical Journal, *12*(1), 31-42, p.34

(٣) .See again: Gunner, 2002, p.78

(٤) .See again: Ukah, 2008, p.145

ثانياً: تحليل الوظائف والخصائص:

ففي حين تركز إيكوباكاميني على الطهرانية الجسدية (الغطاس المقدس، العذراوات، النار الطقسية)، وتركز نكامبا على الماء المبارك والصلوات السبع، وتركز موريا على «بركة القائد الأعلى» والعصا المقدسة، بينما تبرز مدينة الخلاص هذه جميعاً في «الخدمة الشهرية للروح القدس» التي يصفها أوباداري بأنها «مصنع متكامل لإنتاج المعجزات»^(١).

وعلى مستوى إدارة القرية بموجب شريعة داخلية، تتشابه الحالات في فرض مدونة طهر صارمة (تحریم الكحول والتبغ ولحم الخنزير، وضبط اللباس والعلاقات)، لكنها تختلف في أدوات التنفيذ: ففي إيكوباكاميني، تُفرض الشريعة عبر العزل العمراني والفصل بين الجنسين (بيوت للعداري وأخرى للرجال غير المتزوجين)، وفي موريا عبر «عشور البركة» والالتزام بالزي الموحد، وفي نكونغو عبر «السياج الطقسي» الذي وصفته مارتن^(٢). أما مدينة الخلاص، فتفرض شريعتها عبر إدارة مؤسسية حديثة- لوائح سكانية، وأمن خاص، وتسجيل رسمي- مما يجعلها الأكثر بيروقراطية بين الحالات الأربع.

أما الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية، فتكشف عن تباين صارخ: فبينما تقوم نكامبا وإيكوباكاميني على اقتصاد كفاف تعاوني يدعمه الحجاج والسكان المحليون، تُقدّم موريا نموذجاً وسطاً يعتمد على «عشور البركة» والاقتصاد الموسمي الضخم، في حين تمثل مدينة الخلاص نقلة نوعية نحو «الرأسمالية الخلاصية» التي تدير مواردها عبر شركات استثمارية وتُسوّق الخدمات الدينية بمنطقة السوق^(٣).

تكشف المقارنة بين نكامبا، وموريا، وإيكوباكاميني، ومدينة الخلاص عن بنية مشتركة تتأسس على الخصائص الأربع نفسها، لكنها تتمايز في تجسيد الوظائف الثلاث: الروحية، والاجتماعية، والسياسية-الاقتصادية، بحسب سياق كل حالة.

فمن حيث التأسيس النبوي، تشترك الحالات جميعها في لحظة انبثاق واحدة: كيمبانغو في نكونغو (١٩٢١م) الذي زعم أنه أمر بالشفاء والتبشير، وإنجنياس ليكفانيان في موريا (١٩٣٠م) الذي قال إنه تلقى رؤيا بتأسيس «مدينة الله»، وإزايا شيمبي في إيكوباكاميني (١٩١٦م) الذي زعم أنه أوحى إليه باسم القرية «المكان المرتفع»، وجوزيا أكينديويومي ثم خليفته أديبوي في مدينة الخلاص التي بدأت كمخيم صلاة (١٩٨٣م) ثم تحولت إلى مدينة كنسية.

غير أن طبيعة الوحي المدعى تختلف: ففي الحالات الثلاث الأولى كان الوحي مباشراً وشفهياً ومرتبباً بشخص المتنبئ المؤسس وحده، بينما في مدينة الخلاص جاء الوحي في سياق مؤسسي كنسي أوسع، حيث تُرجمت النبوة إلى مشروع عمراني وإداري حديث، فتحوّلت من «قرية نبي» إلى «مدينة كنيسة».

أما من حيث اعتبار القرية مركزاً للعالم ومكاناً للحج، فتعبر كل حالة عن ذلك ببلغتها الخاصة على ألسنة المؤسسين: نكونغو هي «المكان الذي اختاره الله ليكون مركز العالم الجديد»، وموريا هي «الأرض التي وعدني بها الله في الرؤيا»، وإيكوباكاميني هي «باب السماء على الأرض».

وتتفاوت إيقاعات الحج: فهو سنوي في نكونغو (أبريل وأكتوبر)، وفي موريا (عيد الفصح)، وشهري في إيكوباكاميني (مما يعزز مركزيتها الدائمة)، بينما هو شهري وسنوي في مدينة الخلاص معاً، لكنه يتميز بأنه لا يخضع لدورة ذروة وفتور، بل يحافظ على قداسة يومية مستمرة بفضل السكان الدائمين. وهذا يقود إلى تفاوت جوهري في الوظيفة الروحية:

(١) See again: Obadare, 2018, p.67

(٢) See again: Martin, 1975

(٣) Ukah, A. (2016). Emplacing God: The social economy of Pentecostalism in Nigeria. In N. Wariboko (Ed.), The Pentecostal principle: Ethical methodology in new spirit. Wm. B. Eerdmans, p.238

اعتراف/ تدخل رسمي متزايد من الدولة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	محدود	درجة كبيرة
وجود صراع مؤسسي بين فصائل دينية	محدود	محدود	درجة كبيرة	لا
ارتباط المكان بحركة دينية عابرة للحدود	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
استخدام البث الرقمي لتوسيع المجال الديني	محدود	إلى حد ما	محدود	درجة كبيرة
تحول واضح نحو العولمة الدينية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	محدود	درجة كبيرة
تحول المكان إلى مركز ديني ذي وظائف تتجاوز العبادة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	إلى حد ما	درجة كبيرة

الجدول من إعداد الباحث

جدول رقم (٣): تقييم الأداء الوظيفي للقرى الأربع في الوظائف الأساسية الأربع:

الوظيفة	نكامبا	موريا	إيكوباكاميني	مدينة الغلاص
الوظيفة الروحية/ الدينية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
الوظيفة الاجتماعية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	متوسط	درجة كبيرة
الوظيفة السياسية	إلى حد ما	درجة كبيرة	محدود	درجة كبيرة
الوظيفة الاقتصادية	متوسط	درجة كبيرة	محدود	درجة كبيرة

الجدول من إعداد الباحث

ثالثاً: تحليل الفعاليات الأخيرة واتجاهات التطور:

يكشف الاتجاه العام للفعاليات الأخيرة في القرى الأربع عن أربعة مسارات مختلفة لتطور المكان المقدس الإفريقي، مع عدم وجود مؤشر كافٍ للقبول بوجود انحدار وظيفي.

بالنسبة لإيكوباكاميني، فقد حافظت على نمطها الطقوسي التقليدي، مع بروز الانقسامات بين الفصائل الشيمية، بوصفها مؤشراً على أزمة مؤسسية وتنظيمية أكثر منها تراجعاً في القداسة أو الحج؛ بل إن استمرار الحج في ٢٠٢٦م يؤكد بقاء الوظيفة الدينية للمكان.

وهذا يقود إلى الوظيفة السياسية: ففي نكامبا كانت القرية في أصلها تحدياً للدولة الاستعمارية، إذ اعتُمل كيمبانغو بسببها؛ وفي موريا أصبحت القرية منصة انتخابية يتوافد إليها السياسيون لاستجاء الأصوات؛ وفي إيكوباكاميني تحولت إلى قلعة معزولة عن الدولة؛ أما مدينة الغلاص فقد بلغت الذروة في هذا البُعد، إذ أقامت بنية تحتية موازية جعلتها، وفقاً لوصف لاركن، «موقعاً سيادياً منافساً» يستولي على وظائف الدولة بمنطق ديني^(١).

جدول رقم (٢): الخصائص المشتركة وأوجه الاختلاف بين القرى

المقدسة الأربع:

الخاصة / الوظيفة	نكامبا	موريا	إيكوباكاميني	مدينة الغلاص
تأسيس مرتبط بشخصية نبوية/ كاريذية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
اعتبار المكان مقدساً بصورة مؤسسية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
وجود حج ديني منتظم	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
وجود طقوس دينية خاصة بالمكان	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
وجود نظام أخلاقي/ سلوكي خاص	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة	درجة كبيرة
وجود سكان دائمين داخل المجال المقدس	درجة كبيرة	درجة كبيرة	متوسط	درجة كبيرة
وجود مؤسسات تعليمية	درجة كبيرة	درجة كبيرة	متوسط	درجة كبيرة
الاندماج في نظام التعليم الوطني	درجة كبيرة	درجة كبيرة	إلى حد ما	درجة كبيرة
وجود نشاط اقتصادي مرتبط بالحج	درجة كبيرة	درجة كبيرة	متوسط	درجة كبيرة
وجود نشاط اقتصادي مؤسسي متنوع	متوسط	درجة كبيرة	محدود	درجة كبيرة
تداخل واضح بين الحج والسياسة	متوسط	درجة كبيرة	محدود	متوسط
حضور سياسيين في الفعاليات الدينية	متوسط	درجة كبيرة	محدود	متوسط

(١) See again: Larkin, 2020, p.162.

خلاصة تركيبية:

تكشف الحالات الأربع أن القرية المقدسة الإفريقية تحولت من ملاذ ديني منفصل إلى مؤسسة مركبة تتداخل فيها القداسة مع المجتمع والسياسة والاقتصاد والدولة والإعلام.

وتظل النواة المشتركة هي تحويل الشرعية (النبوية) إلى مكان مقدس عبر خطاب لاهوتي مؤسس، تباينت نبراته من الكونية التحررية عند كيمبانغو، إلى الشخصية التجريبية عند ليكغانيان، فالاستبدالية الحصرية عند شيمبي، وانتهاءً بالبراغماتية العولمية عند أديبوي، وهي تباينات حددت مسارات التطور اللاحقة لكل قرية. ومن ثم، تتمايز النماذج: فايكوباكاميني استمرارية طقوسية بتحديات مؤسسية، وموريا تداخل متزايد بين الحج والسياسة والاقتصاد، ونكامبا مؤسسة القداسة والتفاوض مع الدولة، ومدينة الخلاص مدينة دينية عالمية مندمجة في التكنولوجيا والسوق.

وبذلك، لا يكون التطور انتقالاً خطياً من القرية إلى المدينة، بل إعادة تشكيل مستمرة للقداسة تستوعب أدوات الدولة والسوق والعولمة دون أن يفقد المكان وظيفته الدينية الأساسية.

المحور الخامس: القرية المقدسة

وتحديات الأصالة والمعاصرة:

مؤخراً واجهت القرى المقدسة في المسيحية الإفريقية إشكاليات مركزية تهدد شرعيتها اللاهوتية واستقلالها المؤسسي، تتمثل في: الموازنة بين «الحفاظ على أصالتها المؤسسة على النبوة» و«التكيف مع الضغوط المعاصرة» المتمثلة في الدولة الحديثة والعولمة والتحول الرقمي، وضرورة الانفتاح على العالم. كيف تتعامل القرى المقدسة مع هذه التحديات العصرية دون أن تفقد جوهرها المقدس، هذا ما يعالجه هذا

المحور:

أما موريا، فتتجه إلى مزيد من التسييس والتجارية، إذ ما يزال الحج يجذب أعداداً ضخمة ويستقطب السياسيين، كما ظهر في حضور الرئيس رامافوزا في حج عيد الفصح ٢٠٢٦م، بالتوازي مع تنامي العائد الاقتصادي للمناسبة. وفي مدينة الخلاص، يبدو الاتجاه أكثر وضوحاً نحو العولمة والرقمنة؛ فالفعاليات الدورية والمؤتمرات الكبرى تُبث عالمياً، فيما تستعد المدينة لمؤتمر الروح القدس في ديسمبر، بما يعزز تحولها من موقع للحج إلى مركز ديني عالمي يتجاوز الحضور الجغرافي. أما نكامبا، فهي الحالة الأكثر تطوراً مؤسسياً؛ إذ انتقلت في ٢٠٢٦م من مجرد مركز ديني مقدس إلى موقع تسمى الدولة رسمياً إلى منحه وضعاً خاصاً لـ «مدينة مقدسة»، مع ترتيبات قانونية وإدارية وعمرانية لحمايته وتنظيم الحج إليه. وبالتالي، فإن المؤشر العام لا يشير إلى انحدار المدن المقدسة، بل إلى إعادة تشكيل وظائفها؛ فالمكان المقدس المعاصر لم يعد يؤدي وظيفة دينية محضة، وإنما أصبح يتقاطع بدرجات مختلفة مع الدولة والسياسة والاقتصاد والإعلام والعولمة. والاستثناء النسبي هو إيكوباكاميني، حيث يبدو التحدي الأساسي مؤسسياً داخلياً أكثر منه تراجعاً في جاذبية المكان المقدس.

جدول رقم (٤): اتجاهات الفعاليات الحديثة: ٢٠٢٤-٢٠٢٦م:

الحالة	أبرز الفعاليات	الدالة البحثية واتجاه التطور	البعد الأبرز
إيكوباكاميني	- استمرار الحج والطقوس والتقاليد الشيمبية. - انقسام بين الفصائل حول استخدام المواقع المقدسة في حج نوفمبر ٢٠٢٤م.	استمرارية دينية مع هشاشة مؤسسية.	ديني + تراثي
موريا	حج عيد الفصح ٢٠٢٦: بمشاركة مليونية وحضور سياسي واقتصادي كبير.	تزايد التداخل بين القداسة والسياسة والسوق.	ديني + اقتصادي + سياسي
مدينة الخلاص	- المؤتمرات الكبرى مثل مؤتمر الروح القدس في ديسمبر القادم ٢٠٢٦م. - البث الرقمي والتوسع التعليمي والتبشيري.	- انتقال المدينة لمركز عالمي. - تعزيز الحضور المادي بالث الرقمي والتواصل العابر للحدود.	ديني + عالمي + رقمي
نكامبا	- إحياء ذكرى سيمون كيمبانغو. - قرار رئاسي برفع نكامبا إلى مرتبة (مدينة مقدسة) ذات وضع خاص في أبريل ٢٠٢٦م.	مأسسة القداسة واندماجها في إطار الدولة.	ديني + سياسي + قانوني

الجدول من إعداد الباحث

أولاً: إشكالية الأصالة والتقليد:

حج افتراضي بديل، وقد أظهرت دراسة حديثة عن الكنائس الخمسينية النيجيرية للمنصات الرقمية، أن RCCG، من بين الكنائس النشطة في استخدام هذه المنصات مثل YouTube و Facebook في البث المباشر والكراسة والتعليم والصلاة، وأن البث العالمي والمشاركة الدينية الافتراضية والتفاعل عبر الدردشة والشهادات والتبرعات الإلكترونية أصبحت عناصر بارزة في الممارسة الدينية الرقمية^(٤).

أما في علاقتها بالدولة، فتشير خبرات القرى المقدسة الأربع إلى أن العلاقة لم تعد تقوم على «السيادة الهجينة»، بمعنى الامتثال الشكلي والمقاومة الجهورية، مثلما كان الحال قبل عقود ماضية^(٥)، بل انتقلت إلى علاقات أكثر تفاوضاً وتكاملاً واستقلالاً نسبياً.

ففي نكامبا يتعزز التكامل المؤسسي عبر الاعتراف الرسمي وتنظيم الحج وحماية التراث، بينما تتقاطع في موريا القداسة مع السياسة والاقتصاد، وتتجه مدينة الخلاص إلى توسيع مجالها الديني عالمياً عبر الإعلام الرقمي، في حين تحافظ إيكوباكاميني على نمطها التقليدي مع بروز تحديات داخلية.

وبوجه عام، تتجه القرى المقدسة من الانغلاق النسبي إلى التفاعل مع الدولة والسوق والسياسة والإعلام، مع الحفاظ على استقلالها الديني بدرجات متفاوتة.

وفي التعليم، انتقلت من نموذج المدارس الدينية الموازية إلى مؤسسات أكثر اندماجاً

صُممت القرية المقدسة لتعيد إنتاج بنية القرية الإفريقية التقليدية القائمة المتمثلة في المجتمع المتجانس القائم على «السلطة الأبوية للزعيم أو الكاهن، واقتصاد الكفاف»، ولكنها تستبدل زعيم القبيلة بنبي كاريزمي يستمد سلطته مما يدّعي أنه وحي، لا من النسب^(٦)، وبالتالي تحاول المسيحية الإفريقية أن تجمع في قراها المقدسة بين الثورة على الماضي الوثني للمجتمع الإفريقي واستعادة دفته العضوي.

ثانياً: إشكالية التحول المؤسسي:

بعد وفاة المؤسس، تواجه القرية المقدسة ما يمكن أن نسميه «روثة» (تميط) الكاريزما، فإما أن تتحول إلى مدينة بيروقراطية تديرها سلالة وراثية تفقد روحها الثورية، على نحو ما حدث في «نكونغو» التي تصفها آش بأنها أصبحت اليوم فاتيكان إفريقيا^(٧)، وإما أن تتميز بانقسامات الورثة المتنافسين على شرعية خلافة (النبي)، على نحو ما حدث في (إيكوبا)، بعد وفاة شيمبي^(٨).

ثالثاً: تحديات العصرية والعولمة:

تفرض التحولات العصرية المتسارعة والطفرات التقنية المذهلة واقعاً جديداً يخترق أسوار المدن المقدسة المحافظة، هذا بجانب ضغوط الدولة الحديثة التي تريد فرض نظامها الاقتصادي والسياسي والثقافي (الضرائب، التعليم) على كامل أرضها.

وهذا الاختراق يهدد بانحلال ثنائية (المقدس/المدنس) التي قامت عليها القرى المقدسة. ولكن بعض القرى استطاعت أن تتكيف بتحويل الإنترنت إلى منبر كرازة تبث طقوسها عليه مباشرة، وخلق

(٤) Odewale, V. T. (2026). Digital evangelism and the mediatization of Nigerian Pentecostalism: New media and the transformation of religious communication in the twenty-first century. European Scientific Journal, 22(20), 76–92. <https://doi.org/10.19044/esj.2026.v22n20p76>

(٥) See again: Comaroff, 1985, p.235

(١) See again: Ranger, 1983, p.275

(٢) See again: Asch, 1983, p.141

(٣) See again: Papini, 1992, p.348

في النظم الوطنية، مع الحفاظ على مكون ديني وأخلاقي خاص؛ فتوسعت مدينة الخلاص إلى التعليم التقني والمهني، بينما ارتبط تعليم نكامبا بأطر رسمية مع الدولة. ويعكس ذلك اتجاهًا نحو توطين التعليم الحديث داخل البيئة الدينية، بدل رفض المنهج الوطني أو استبداله بمنظومة لاهوتية مغلقة^(١).

الخاتمة:

القرى المقدسة لدى الخلاصيين المسيحيين الأفارقة ليست مجرد أماكن للعبادة، بل هي «نصوص» عمرانية حية تحاول المسيحية الإفريقية من خلالها أن تجسد بتلاوتها لاهوت خلاصها الشامل، وطموحاتها لبناء أمة بديلة، وإستراتيجياتها للبقاء في وجه الحداثة. وهي التجسيد الأوضح لفكرة الخلاص المادي على الأرض. وبالتالي فإن دراسة القرى المسيحية المقدسة في إفريقيا تكتسب أهمية خاصة لفهم ديناميكيات الدين والمجتمع والسياسة في إفريقيا المعاصرة.

الملاحظة الأكثر إلحاحاً هي أن الجفاف الروحي الذي أصاب المسيحية الرسمية في إفريقيا، وتماهياها مع الاستعمار الأوروبي، ثم مجتمع المدينة العلمانية في حقبة ما بعد

الاستعمار، أدى إلى منح الجماعات الخلاصية الإفريقية شريان الحياة لتبني مجتمعاتها الخاصة، وتُشيد مدنها المقدسة التي تجسد على أرضها لاهوت الخلاص المادي.

تؤكد نماذج نكامبا وموريا وإيكوباكاميني ومدينة الخلاص أن القرية المقدسة المسيحية الإفريقية هي، قبل كل شيء، ظاهرة (مكانية-لاهوتية) مركبة، تنشأ من رحم (ما يُعتبر) وحيًا، وتستمر بالحج، وتُصان بالمحرمات، وتتفاوض مع الدولة والمجتمع، وتُورث عبر سلاسل المتبئين المؤسسين. وهي، في ذلك كله، مرآة تعكس تطلعات الجماعة المقهورة إلى الخلاص الشامل؛ خلاص الجسد من المرض، وخلاص الذاكرة من اغتراب تمزيق الاستعمار، وخلاص المكان من اغتراب الحداثة.

ورغم نشأتها التي تجاوزت القرن؛ فإن كثيراً من القرى المقدسة استطاعت أن تحافظ على حيويتها، وتتجاوز كثيراً من التحديات التي أوجدتها بنيتها الأيديولوجية في مقابل الضغوط الواقعية، أو تلك التي فرضتها تحولات الحياة المعاصرة، فاستطاعت باتباع إستراتيجيات مرنة وإعادة تشكيل مستمرة للقداسة أن تتعامل مع الضغوط السيادية بمرونة جنبيتها السقوط في خانة التمرد ومصادمة الدولة، بل استطاعت أن تستوعب أدوات الدولة والسوق والإعلام والرقمنة، دون أن تفقد هويتها واستقلالها الديني، بدرجات متفاوتة، كما استطاعت أن تستوعب التطورات العصرية المتسارعة بالصعود إليها واستيعابها داخل مشروعها اللاهوتي ■

(١) انظر:

Ministère de l'Éducation Nationale et Nouvelle Citoyenneté (2022). The Kimbanguist Church signs the new school convention with the Congolese Redeemer's College of Technology and Management (n.d.). Higher National Education South Africa. Diploma Programmes South African History (n.d.). Sion: No-fee school tory Online (2023). Nhlankakazi, the Holy Mountain of the Shembe President Ramaphosa arrives at St Engenas Financial, ZCC for Easter pilgrimage in Moria. Mail (2026). Profits of the Moria pilgrimage Agence Congolaise de Presse (2026). Nkamba «élevée au rang de 'ville sainte